المقدمة

هـذه الاعاصير ، وهي مختارات من شعري الوطني نحّيتها عن سائر اشعاري لتعصوصف في جوّ وحدها . انها خواطر جامحة وافكار ثائرة بلوت من صراعها في صدري مع اخواتها الوادعات ما اشفقت معـه ان اجمع بينهنّ في كتاب ، يسُمنه من تنابذهنّ وحراشهنّ ما سمّني من عذاب . ولم اخصّها بالنشر ، على ما فيها من شدة وعُرام ، قبل مختلف المواضيع التي يشتمل عليها ديواني إلاّ لاعتقادي أنا الى ما يبعث فينا الاثرة ويقوّي العصبية احوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية واصلاحاً للبشرية

هذه آيات انبيائنا واسفار حكمائنا تشهد بأنّ لنا من فيض العاطفة الاجتماعية وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ما ليس لسائر الامم بعضه ولكن هذا الذي اردنا به السلام للعالم لم يعمل به احدٌ سوانا فلم يهدِ الناس شيئاً وعاد علينا نحن وبالاً شديداً فلقد وزّعنا الحب على اهل الدنيا حتى لم يبق لنا منه فضلة لذواتنا ، ولقد بلغنا من انكار النفس والتطوع بخدمة الغرباء مبلغاً جاوزنا رياض فضيلة الكرم وشرف التضحية الى سباخ التمرغ والذل والدناءة . انا اسلس المطايا قياداً وألينها شكيمة وأحناها ظهراً وأنعمها مركباً بل نحن صيدٌ شهيٌّ سائغ ليس أقرب منه منالاً ولا أسهل منه مأخذاً فبدلاً من ان يتكلف القنّاصون مشقة نصب الفخاخ لنا او مطاردتنا ووهقنا باتوا وجهادهم محصور في كيف يتقون تهافتنا عليهم ووقوعنا على اقدامهم كما يدفع الرجل كلبه عنه حذراً منه على لباسه لفرط ما يرى من تحببه اليه وتوثبه عليه

اما والله لو كنت شاعراً افرنسياً او انكليزياً لحبست النفس على التبشير بالسلام ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان . لأن الرأفة والحنان زينة الاقوياء . امّا وانا سوري ، ومن لبنان ،

فاني لا عرض لي في الحياة اشرف من دعوة شعبي الى بغض الشعوب، ولا مثل عندي اعلى من استنهاض امتي لمحاربة الامم. وانه لبغض اسمى من الحب! وانهسا لحرب اقدس من السلم! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة في شيء اكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار، حجة الذليل اللئيم! فلنصافح السيوف فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء! نحن نحب اوروبا ولذلك يجب ان نبغضها اولاً! نبغضها لنحاربها، ونحاربها لنتحرر منها، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها. نحن اصبح الخلق ابداناً وارجحهم عقولاً وأحسنهم ارواحاً، فلو فكّت عنا اغلال القوة الغاشمة لسبقنا العالمين في مضامير العمران ولأسبغنا على العلم من دماثة اخلاقنا ما يروض اوابده ويصرف اعنّته على أكمل وجوه الخير والصلاح ولكننا، دون هذه الامم الحرة، امة شلّتها قيود التقاليد الرثة والتعصبات المقيتة، كلما فتّحنا عيوننا على عيوبنا وحاولنا تحطيم اصفادنا لتسري فينا الدماء ونعود فنُعَدّ في الاحياء، أحكم الظلم وثاقنا وضاعف ارهاقنا والقى بنا في مطارح الخسف والهوان طرحك الخرقَ البالية في القمامات!

فيا ابناء وطني — لكم تجدون بينكم من دعاة الاستعمار نفراً يدّعون الحكمة ويتكلفون الوقار — يجلس واحدهم جلسة الوثن متربصاً جامداً كانما ركز المصور او المزين رأسه على شكل لا ينحرف عنه · ثم يبسط كفيه على ركبتيه ويزوي بين عينيه ويقول خافضاً صوته : — مالكم ولهؤلاء الشعراء ان هم إلا صبية اغمار يحرضونكم على المطالبة بالحرية ولا سلاح لديهم غير ألسنتهم واقلامهم فيجلبون عليكم النقمة ويسوقونكم الى الهلاك · · · ألا اعرضوا عنهم ! كلوا امركم الى وليّة الامر فيكم انها امكم الحنون وحاشا لامكم الحنون ان تريد بكم شراً · · · انها تهيئ لكم خيراً جزيلاً · تدربكم على الحرية فاذا صرتم لها اهلاً وهبتها لكم لوجه الله لا تبغي اجراً ولا شكوراً فاسعفوها في اصلاح نفوسكم تستقلوا فالاستقلال رهن باهليتكم ووقف على استحقاقكم · الى ما شاكل من عظات تخثر النفوس وتوهن العزائم وتطفئ جذوة الحماسة في الصدور — اما انا فأقول لكم : يا ابناء وطني لا يؤهلكم للاستقلال إلا الاستقلال نفسه · نفوسكم ضائعة · نفوسكم مغصوبة · جدوها اولاً واستردوها ثم اصلحوها ! أفأنتم مسؤولون عما لا تملكون ؟

ان هؤلاء المضللين يلهونكم عن السعي الى تحقيق مطلبكم الاسمى ليخرج من وعد وزيف من رجاء لتلبثوا حيث انتم او تمشوا القهقرى . انهم يحاولون اقناعكم بأن العبودية وسيلة الى الرقي والرقي وسيلة الى الاستقلال . انهم يهدئون الجائع بقميص ويمنون العاري بكأس ثليج ، ارأيتم منطقا اسدّ من منطق المستعمرين ؟ يا ابناء وطني ! الاستقلال هربٌ من حمام وطبٌ من سقام وكما ان النقه درجة بين الداء والصحة هكذا الحرية مرحلة بين العبودية والمجد . الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق الذي انتم فيه ووسيلة بالنظر الى الرقي الذي تنشدون فمزقوا هذه المصائب وحطموا هذه القيود ثم رودوا نجح الاصلاح وحاضروا في اشواط الفلاح فلا هدي لعميان ولا عدو لمقعدين

ولقد يقول الناقدون ، ما شأن السياسة في الشعر؟ ان الشعر لأرفع من هذه الاباطيل . انه تنكب عن اغراض الدنيا وإعراض عن سفاسف الحياة وتلمّس للمثل الاعلى . ثم يقولون من ناحية اخرى : — الشعر الحقيقي هو ما مثّل الحياة اكمل تمثيل والشاعر

العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل امته الذي يتقدمها كعمود النور في ليالي محنتها . رافعاً لواء الحق . هو بشيرها في الشدة ينعشها بالرجاء . ونذيرها في الرخاء يلقيها مزالق البطر . فنقول لحضرة الناقدين : — انّا اذاً وايا كم لجدّ متفقين ولا خلاف بيننا إلاّ انّ ما نسمّيه نحن وطنية اخطأتم انتم فدعوتموه سياسة . اننا في هذا الشعر لم نخض معارك انتخاب ولا تدخّلنا في احزاب ولكننا جهرنا بالحرية وناديا بالاستقلال وطالبنا بالحق ونشدنا العدل . والحرية والحق والعدل ليست من اباطيل الحياة كما تزعمون ولكنها من اشرف مبادئها وانبل غاياتها . ولقد عبّرنا في شكاوينا المحرقة عن اعمق جراحات امتنا المطعونة في صميم عزتها وإبائها واعربنا في صيحاتنا عن اسمى مساعٍ تغامر بلادنا في سبيل استرداده من شرف مروم كان فوق النجوم فبات سحيقاً تحت اقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين

اما ذلك الشعر الذي تضحك فيه الحياة وترن قوافيه بالحان الحب والغزل وتعبق انفاسه بنفحات الشباب فله ساعات تخلص فيها النفس من اعبائها وتتناسى الى حين ما هي فيه من شقاء وقد

اتفق لنا منه قدر معلوم سننشره في كتاب وحده ولكنه على كل حال ليس بالشعر الذي يتسم به أدب امة مقهورة كأمتنا الراهنة ، انه لدولة مرفوعة لواء المجد ممدودة رواق العز كدولة اجدادكم في الشام وبغداد والاندلس لا لدولة ... الانهار التي تحتها ترزحون والاصفاد التي في حديدها ترسفون ...

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين في المريخ ، ودخان غيظها يوشك ان يبطأن القبة الزرقاء بقبة سوداء أفتريدون منا ان نجترح المعجزات فنسمعكم همس الازهار وسط هذا الضجيج ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ان لم نكن غرباء الشعور عن هذه الامة وان لم نكن بعيون غيرها نبصر وبآذان غيرها نسمع ومثل غيرها ننشد ؟ ألا طلى رسلكم ايها الناقدون ! فإما ان تأتونا بغير هذا الافلاس الوطني آية وإلا فحسبكم تضليلا وهبوكم لا تؤمنون بغير الارض وطنا وغير الانسانية عشيرة . افتعتقدون ان الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟ ! ... واذا كنتم ولا شك تشعرون بفقرها الى الاصلاح فلماذا لا تباشرونه من اقرب اقطارها اليكم ؟ ان الذي يغضب لحق

هضم في الصين اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده ، والذي
ينفر الى نصرة مظلوم في آخر الدنيا لحري بأن يذود عن ضعيف
يصرعه البغي بين شماله ويمينه ! ان الحرية هي الحياة بمعناها الشريف
وهي اول حقوق الانسان فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروا
الحياة على اقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ ألا فاشتروا اوجوهكم براقع
ايها المراؤون او فاستروها باكفكم خجلاً ! ان الذي لا يستطيع
ان يحب نفسه واهله فلن يحب من الناس احداً

يا ابناء وطني ! ويقول لكم صنائع المستعمرين نحن مثلكم
نحب الحرية ولكن أين عدتكم للحرب والصدام ؟ أين مدافعكم
واساطيلكم وطياراتكم وغازاتكم الخانقة ؟ فأقول للرعاديد لا تحتجبوا
بحاجتكم الى السلاح فأنتم الى الاباء وعزة النفس احوج ! اشعروا
اولاً بهوانكم واغضبوا لكرامتكم فاذا فعلتم فانا الكفيل بانكم
تجدون غير هذه الجبانة جواباً لمن يسألكم اين عدتكم للحرب
والصدام ! فوالله انكم بطول نومكم على هذا الضيم واستكانتكم لهذا
الذل قد برهنتم على انكم اصبر الناس على الكريهة ! فلماذا تتقون
الحرب ؟ أو تخافون موتاً شراً من الموت الذي انتم فيه ؟ !

أفأنتم أكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ أأنتم أودع من حمل الجلجلة ؟ أما غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت ابيه ؟ فبربكم ايها الشياطين الاتقياء كونوا آلهة اشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن

بيوت آبائكم واجدادكم ! واذا كان يشق على ايديكم الحريرية الناعمة ان تجلد بالسياط او تضرب بالسيوف فحاربوا بسعف النخل واغصان الزيتون ! حاربوا بالسلام ! حاربوا بالغندية ! ان الشريف لا يعدم سلاحاً ينافح به عن الحق اما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره وهو في غاب من بنادق وحراب . ألا ليت الجبان كان اعمى يزجر الطير ويفزع الثعالب فإن هذا الاعمى يخاف كل شيء ولا يخيف احداً ! !

* * *

ثم اني لم أسم هذه المجموعة بالاعاصير إلا لما كان يعصف بين جوانحي عند نظمها من العواطف الزاخرة بالحماسة والغضب والالم والتنهدات والدموع . ولعمري ان ما حاق بالبلاد العربية

عامة من البلاء في العقدين الاخيرين ، وما توالى على وطني لبنان خاصةً من ضربات الحرب والوباء والجوع والهوان مما لم يعهد له في تاريخ هذه الامة نظير لحليق بأن يخلق لها شاعراً بل شعراء تشكو بهم ضيمها وتفصح عن حقها فينفسون بصيحاتهم كروبها ويخففون آلامها ويبعثون آمالها و يستنهضون همتها و يشددون عزيمتها على اني لا ادري والله لندرتهم بل لانعدامهم فيها سبباً ، فالبلاد ماخضت بالحوادث الجسام تنتابها الخطوب عدد انفاسها وابناؤها بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها وعابد بغياً يسفح شبابه على اقدامها و « علاّك » اوزان تمرّ به قوافل الحياة قطاراً تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الاجيال وهو واقف ازاءها وقفة الغر الابله يتلهّى بتشطير وتخميس او يباري في وصف ساعة معلقة على جدار كأن ليس في ما يجري خلفه و بين يديه من ساعات الهول واهوال الساعة ما يحرّك له خاطراً او يهيج شاعريـة ! أوليس من الغبن الفاضح ومن دواعي اليأس القاتل ان يموت في الامة شاعر فتصبح الامة باسرها شعراء تبكيه وترثيه ، وتموت الامة باسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها ؟ !

ألا لبّيك ايتها الام الشاكية في وحدتها ، الباكية في وحشتها ، اننا على ما بيننا من شاسع البعد نتلقّ روحك الذائبة بمازيب اجفاننا ، ونرافق انّاتك المذيبة بوجيب صدورنا . نحن بين غربة تدمي قلوبنا ، وجهاد يدمي اقدامنا ، وحرمان يدمي عيوننا ، كانما نحمل جراحاتك ونحسّ اوجاعك ونذرف عبراتك ، نحن مثلك ايتها الام البائسة ، نحن مثلك يا لبنان الحبيب غارقون في الدموع والدماء فلا ننساك ، اما ابناؤك القريبون ! اما ابناؤك القريبون يا لبنان ! فعليك وعليهم رحمة الله . . . !

من العصبة الاندلسية

obeikandl.com